سلسلة قصصية ساخرة

# زوجة المفتش

بقلم مباركة بشير

# زوجة المفتش

## سلسلة ساخرة

بقلم: مباركة بشير

# نبذة عن الكاتبة

مباركة بشير أحمد ، كاتبة وشاعرة ، من مدينة العين الصفراء أو "الصفيرة" كما يحلو للبعض تدليلها ،وهي مدينة سياحية ،جميلة تُزينها الجبال المحيطة بها ، وسيف الرمال الذهبية . أجواؤها معتدلة شتاء وساخنة صيفا . . .في الجزائر .

وفيها أقول شعرا شعبيا :

بعين الصقرا الباهية قلبي مغروم . . . . . .والدنيا من غيرها ماتخلا لي

يالوكان تصير داري في النجوم . . . .والقمر بجنبها يبات يلالي

حُب الوطن يا اخوة مافيه اللوم . . . . .وإذا قاسوه بالذهب هو غالي

وجدتني وأنا في خضم ما تمتلك الصفيرة من سحر و جمال ،أميل إلى كتابة القصص ما بين تراجيدية

وساخرة أيضا ،ومن خلال قراءاتي المتعددة لقصص أدباء كبار كإبراهيم المازني ،وأحمد رضا حوحو ،في أولى مراحل اطلاعي،والغوص في بحر الأدب العربي ،وقد كانت أمنيتي الوحيدة أن أصير كاتبة كأمثال أولئك الكُتاب الكبار ،واضمحلَ طيف تلك الأمنية شيئا فشيئا رغم حصولي على عدة شهادات تقديرية ،وجوائز في مجال القصة القصيرة ،لكنه المبدع دوما بحاجة إلى تشجيع واهتمام ،وأنا في الغالب لا أحصل منه إلاَ على القليل من ذوي الفئة المثقفة في العالم الافتراضي فحسب ،والبقية ممن يعبرون حولي لايهتمون . . . .

شكرا لكلَ المارين من هنا ،مع تمنياتي لهم بالسلامة والابتسامة الدائمة. . . .

# الإهداء

لكل الأرواح الطيَبة ،والقلوب الشفافة الذين يسعون لبث السعادة

في كلَ ركن من الأرض . . .

إلى السالكين دروب الأمل ،والطامحين في مستقبل أفضل . . .

أهدي هذا العمل المتواضع ،وأرجو أن أزرع في الشفاه ،ولو نصف ابتسامة . . .

2014-2012

# مامعنى الأدب الساخر ؟

لو سعينا لتفسير أحجية له عالقة جدائلها في سدر الضبابية ،فلاتفسير نراه أوضح من أن نصفه أي الأدب الساخر ،بالرداء السحري الذي تلبسه الكلمات ،المتناسلة في أوج الظروف الإجتماعية الصاخبة ،فتبدو هادئة ، رغم ما يكتنف سطورها من آهات وزفرات، بين طيَات الخفاء . وللأسلوب الساخر مايميزه ويضفي على كينونته من سمة جمالية ساخرة تتمثل في انتقاء الكلمات الطريفة ،وتصفيتها بغربال المعرفة في حضرة الموهبة بعيدا عن السطحية و التهريج ،و تعابيرها وسيلة حديدية حارقة ،إن اشتغلت محركاتها ،ضربت معاولها في عمق الأحداث واستخرجت من أرضها كنوزا لامعة ، تنثر عطر الإبتسامة في الشفاه . فهو إذن أدب له ماهيته وخصوصيته المتفردة التي يعكس ماؤها صورا ذاتية لنفسية الكاتب الساخر ،واجتماعية تستمد مفاهيمها من المحيط الإجتماعي مثله مثل الأدب غير الساخر الذي تعددت أجناسه وفقا لما تمليه الظروف على الكاتب من أشكال وألوان . وإلا فما الفرق بينه والنكتة ،إذن فليكتفي بها الكاتب تعبيرا شفهيا عما يكتنفه من مشاعر ملتهبة ،رافضة لبعض تصرفات مزرية دون الحاجة إلى التوغل في أعماق البلاغة لاصطياد درر الكلمات وأقصد بذلك الشعر الهجائي الساخر والقصة القصيرة باللغة الفصحى . أما ماعداه من إبداعات شعبية في كلا الجنسين باللغة الشعبية ،فإن الصياغة بالتأكيد لن تكون عشوائية إنما مبنية جدرانها على أساس الخبرة الإكتسابية الواسعة والحدس الحقيقي . وقد يتساءل البعض عن السر الذي جعل من السخرية أدبا رغم ما يصطدم بينهما من

مفارقات . ورغم أن الله عزوجل قد نهى عنها في قوله تعالى : ولايسخر قوم من قوم...

ولكي نضع المتسائل على رصيف اليقين والمعرفة ،وجب أن نشحن دماغه بما اكتسبناه من خبرات متواضعة من جيب الزمن ونقول له أي نعم أن السخرية منبوذة في الدين الحنيف واجتماعيا أيضا بل تدل على سفاهة صاحبها لكن الذي جعلها ترتقي على سلالم الفكر والأدب هو أنها تنفيسا بآلية الضحك والطرافة، عن ما تكتمه الصدور من آلام وحرمان جراء مافرض على الشعوب من تكميم للأفواه عبر الأزمنة من لدن حكومات جائرة أوظروف اجتماعية قاسية . كذلك لأنها صارت تتناول في قوالب سامية كالشعر والقصة .لذا اجتثت السخرية لها مكانا مرموقا وأصبحت تسمى أدبا ساخرا . وفي قصص حمار الحكيم للكاتب الجزائري أحمد رضا حوحو ،ما يكشف الستار عن عدة قضايا سياسية ،اجتماعية واقتصادية ، رغم أن البطل . . .حمار . ولأن السخرية قد غدت وسيلة تنوير وتثقيف لأفراد المجتمع ،فأصبح لزاما على الكاتب الساخر أن يؤدي رسالته بما يمتلك نبضه من أحاسيس متدفقة وأنامله من زمام للأمور . لكن إذا مالت تطلعاته الشخصية خلف مبتغياته ونواياه من كوة ضيقة ووجه قلمه صوب الناس كمدفع رشاش دون اهتمام بمشاعر أحد ،هنا فقط يتحول الأدب إلى قلة أدب ،ويبتعد عن مغزاه الذي تحدد وجوده لأجله ،فيأفل نجمه ،ولن يقابل صنيع الكاتب بغير الإزدراء والرفض.

خلاصة القول :كما أن هناك رسما كاريكاتوريا قد أخذ حصته من التقدير والإهتمام في كنف الإبداع التعبيري الإجتماعي ،فهناك أيضا على الضفة المقابلة ،أدب ساخر ،لايزال ينتظر الإفراج من سجن التبعية للأدب غير الساخر.

# مفاجأة ولكن !!

في ذلك اليوم وتلته أيام أخر ،لاحظت أن تغيرا ما، قد اكتسح دنيا زوجي وبعثرها فغاب صفوه وتلبدت سماؤه، فبدا وجهه متلونا على غير عادته! وكلما حاولت الدخول معه في معمعة الحوار ،تنصل جانبا وتركني أحاور نفسي كمجنونة تائهة في طرقات المدينة . . . ! ! إلى أن لعب الفأر وقبيلته في مغاور قلبي واستوطنت رائحتهم المشينة ذاكرتي، وأنا أراه يتسلل خفية إلى غرفة مكتبه ثم يهمس بالهاتف النقال ! !،فانزلقت الأفكار مني ،وغرقت في لجة من الشك الحارق لما تشكلت صورتها تلك الغادة الحسناء، التي سألت عنه منذ أسبوع مضى ولم تشأ حتى أن تتذوق رشفة من الشاي وادعت أنها صائمة . . ! ! بالتأكيد ماكانت اللئيمة إلا حبيبته أوزوجته الثانية! وإلا فكيف أفسر انقلاب حاله وأحواله بعد زيارتها الخاطفة لنا ؟ ! آآآآه أيتها الحمقاء! هاهي ذي صخور المشاكل قد تساقطت على رأسك، وخلَفت تحت الجمجمة ثقوبا وجراحات بليغة، وآن لك أن تتصلي بجارتك سليمة ،علَه وعسى تفيدك بما لديها من تجارب !فهي قد سبق لها الزواج بأربع وحتما نالت من الزمن شهادة تقدير في كيفية ترويض الرجال؟ ! قضيت ليلتي هائمة على وجهي في قفار الهواجس، ومابين ضلوعي نيران حرب مسعَرة، حلفت يمينا شياطين الغيرة أن تخمدها ،وسيادة زوجي المحترم يغط في نوم عميق وشخيره قد أطار بلابل

الأمان في نفسي المتعبة، وبقيت أترصد تباشير الصباح بفارغ صبر ،وما إن غادر البيت متوجها إلى عمله ،حتى ألفيتني كعمود المناسج ثابتة على عتبة الجارة سليمة طالبة منها النجدة. ! ! سردت على مسامعها الحكاية بالتفاصيل من الألف إلى الياء، وأنا كلي لهفة وشوق لمعرفة ردة فعلها، وإذابها تطرق رأسها لحظات كأنما شردت من قبضتها ظبية الفكر وأرسلت من يتعقبها وهي تنتظر النتيجة، ثم حدقت في طويلا وقالت : مشكلتك لاتحل إلا بالسحر ! عليك بإحضار ثوب له، أوقطعة قما ش برائحته، مع سلسلة ذهبية أو سوار،ومباشرة نسلم أقدامنا للريح صوب الحاجة مسعودة، فستجعل منه حمارا بأذنين طويلتين . . ! إذا قلت ياليل يرد هو :ياعين. . ! فأجبتها ساخطة وقد تهدمت آخر أبراج الصبر في صدري: أي ليل وأي عين ؟ وأي حمار ! ؟مستحيل أن ألتجأ إلى طرق الحرام. ! تكفيني نيران تحرق دمائي في الدنيا ،حتى أزيد عليها نيران جهنم ! أفيديني بحيلة تيكنولوجية تساير العصرتحبب فيَ زوجي، ولاتغضب الله مني ! .

مصمصت شفتيها الغليظتين ورمتني بنظرة استهزاء من ناصيتي إلى آخر أصبع في قدمي، ثم قالت متنهدة : من قال لك أيتها الدرويشة النائمة أن التيكنولوجيا تجمع القلوب ولاتفرقها ! ! ؟ ثم صرفتني من بيتها متحججة أن وقت إعادة الحلقة الخمسين من المسلسل المدبلج( حبيبي الخامس) على أهبة الإشتغال ،وهي تفضل التفرج عيه في هدوء وسكينة. . ! رجعت أدراجي إلى بيتي وأنا أحمل أكواما من الأصفار على ظهري وأجر خيبتي المثقلة، وقد ترهلت خطاي وانسكب من قلبي جهد كثير. . ! دفعت الباب بضربة قدمية صائبة ،كتنفيس مؤقت على مااعتراني من دمار جراء خيانة زوجي وإحساسي بالهزيمة، وإذابي أفاجأ به أمامي وقد اعتراه نوع من الفزع وهو يتساءل : ماكل هذه الغلظة من تصرفك وماعهدتك إلا لطيفة رقيقة ؟ كنت عند جارتك سليمة أوماحذرتك من صحبتها يامرأة ؟ لاعليه عندي لك مفاجاة. . . !!

كل كلماته المتعاطفة والمعاتبة قد مرت على أذني مرور الكرام !إلا كلمة مفاجأة ،فقد توقفت عند محطتها باصات الدماغ، وبقيت معلقة أنتظر لها لونا ورائحة ومذاقا بل ماستكون المفاجأة غير زواجه من خاطفة الرجال تلك ؟!!

– أغمضي عينيك عزيزتي وستعرفينها حالا !قالها وقد تشرعت شفتاه بابتسامة عريضة . . !

تمتمت في سري : الماكر ابن الماكر أحضر عروسه في بيتي ويجرجرني للرضا والموافقة ! لكن لابأس سأفعل ما يريده الآن، ولكل حادث حديث. . .!!

ثم فتحت عيني بطلب منه وإذا به يصدم بصري بمفاتيح بيده كعنقود عنب في كرمة منحنية ! ! ومباشرة ودون وعي مني ،حرَرتُ وابل العتاب الذي ظللت له آسرة لعدة أيام في حنجرتي، ثم انفجرت في وجهه معاتبة : تريد أن تطردني من بيتي وتحضر زوجتك الثانية وتضحك علي ببيت كراء كما فعل بطل قصة( إمرأتان ورجل) ؟ ! لكن على من تضحك؟ ! فأنا طيبة ولكن لست ساذجة لهذه الدرجة!! !!

يابنة الناس مالك قد انقلب حالك فجأة وأصبحت تهذين بكلام غير مفهوم؟!

قالها الزوج الحائر، ثم أردف قائلا : أما عرفت بعد أن هذه مفاتيح سيارة ؟؟ !

سيارتنا الجديدة! ! أخيراتحقق الحلم يامرأة وصرنا نملك سيارة!!

ثم زاد على حديثه وأنا متحجرة كأن الطيرنائمة على رأسي من أثر الدهشة : أخيرا بعد معاناة وتفكير طويل عريض،إستطعت تدبير المبلغ كاملا وهاهي السيارة جنب الباب . . ! ! هيا معي لتملي عينيك الـ. . . . . ، إنتزعت ذراعي من كفه ساخطة، بعد أن جمعت بصعوبة بضعا من الكلمات مستفسرة:وماذا عن تلك التافهة التي سألت عنك منذ أسبوع مضى ؟!

أي تافهة ،تقصدين ؟ لا أذكر أنه قد سأل عني أحد ؟!!

– صاحبة الخمار الأزرق والبدلة الخضراء ! أم. . ؟ ! ! قلتها بتذمر وسيول الدمع تكاد تغلبني فأردها إلى مكانها قسرا لكي أخفي ضعفي وأبرهن أني قادرة وقوية.

– هههههه. . .تلك الأستاذة صباح ، زوجة صديقي عمر . .كانت معه في خلاف ،فغاب يوما وليلة عند أحد من معارفه غاضبا، وراحت تسأل عنه كل الأصدقاء والزملاء !

صحيح أنكن من ضلع أعوج!!

– أعوج. . .أعوج . .المهم أنك بغيري لن تتزوج ! ! قلت ذلك وقد لونت الإبتسامة شفتاي المشققتان من لهيب الغيرة، وأشرقت شمس السعادة من جديد !!..

# زوجة المفتش

ولجت إلى العيادة التي اكتضت بجمع حاشد من النساء مختلفات الأشكال والألوان، فخيل إلي لكثرة الهرج والمرج أنني في سوق عكاظية لصنوف متنوعة من المنشرة النميمية والغتبية الطازجة. . . . ! !اقتربت من إحداهن راجية بجنبها بضع جلوس ، نظرت إلي بامتعاض وكأنني قتلت أباها أو أمها .ثم قطَبت جبينها العريض، وبعثت بكلمات من طرف أنفها ، لم أكن حريصة على تفسيرها لأنني في كل الأحوال ماكنت لأجلب لنفسي المشاكل،و خاصة أنها مكتنزة باللحم والشحم وأكون كاذبة إذا قلت أنه باستطاعتي الثبات أمامها خمس ثوان إن هي اختارت مصارعتي.

وبينما كنت سائحة بخيالي، فاقدة مفتاح أي وسيلة طرقت بابها عساني أتخلص مما أنا فيه من تعب و امتعاض ، وإذا بشقراء فارعة الطول تنادي بأعلى صوت أن أدخلي فالطبيبة بانتظارك.

لكن ماذا حدث. . . . . ؟ ؟ ؟ سألتها بدهشة عارمة، وأنا أتفحص أفواه النساء العابسات وقد صوبن رشاش اللعن والشتائم على صفحة وجهي مباشرة.

إيه . .المعرفة. . ! قالت إحداهن متنهدة.ثم ردت عليها أخرى وهي تهز رأسها الموشح بخمار أسود

كسوادتلك اللحظات العصيبة:عيش تشوف . . . .ثم تلتهما ثالثة:ياويح اللي ماعنده اكتاف في هذ الزمان. . . . . ! ! ! وتلتهن رابعة وخامسة.

تسلل طائر الحيرة في مغاور صدري، وأنا أبعثر الخطى الحثيثة نحو مخبئها تلك الطبيبة، وراودت ناصيتي علامات استفهام رهيبة،خنقت إرادة الصفو في تعرجات مخيلتي، . .ومع ذلك ،لم أعر لسخط النساء اهتماما، بعدما شحنت نفسي ببنزين الثقة والشعور بالرفعة والسمو !! واصلت طريقى كطاووس منكوش الجناحين في تبختر، فمرَرت لتلك المكتنزة لحما وشحما رسالة بطرف عيني، متشفية بحالها الميؤوس، أن أعلى مافي خيلك إركبيه !! . أدرت المقبض الخشبي وإذا بي منغرسة وجها لوجه، أمام الطبيبة صاحبة الإبتسامة الدافئة ! نعم إنها الطبيبة رانيا !!وقد كانت من بين المدعوات في إحدى حفلات الجمعية الخيرية ،التي ألقيت فيها بمناسبة عيد المرأة قصيدة شعرية، وحظيت بكثير من التصفيق والزغاريد، من طرف جمهور عريض، حوالي نصفه والربع ومايزيد قليلا أويكثر، من المتحجرات في البيوت .!..

رحبت بي أفضل ترحيب، واستقبلتني وكأنني حاجَة أقبلت التو من بيت الله الحرام !! حتى أنها حلفت أن تضيفني بجرعة عصير كانت آخر ماتبقى في حوزتها، وجلست قبالتي تسألني بلطف عن سر أوجاعي . عندما انتهت من تقليبي وجس نبضي ،طمأنتني أن الذي أعاني منه مجرد إنفلونزا فصلية. . وأنا التي كانت فرائسي ترتعد خشية أن أكون مصابة بأنفونزا الطيور أوالخنازير . !!..

إكتمل الفحص السريري على مايرام، شعرت بنفسي خفيفة ،رشيقة . . . .أخرجت من الحقيبة المرافقة

للطبيبة أجرتها . ترددت والحياء يقيد كفها ، لكنني كنت عليها الحالفة هذه المرة ، وقلت في سري مبتهجة:

– ألهذه الدرجة استطعت كشاعرة مميزة أن أجذب لي معجبة من الطبقة المثقفة الراقية ؟ ! . . . .مازالت الدنيا بخير ،ولاخوف على دينصور الشعر الجميل من الإنقراض. . . ! !

تأهبت للإنصراف شاكرة لها . . . .فتحت دوني الباب بلمسة حنونة وكادت أن تقبلني مودعة، بل وتذرف على وداعي بعض الدمعات . . ! ! .وقبل أن يضيع جسمي النحيل في موجة الزحام خارجا ،قربت فمها من أذني كما لو أنها تسعى إلى عضها . . ! ! ثم همست إلي قائلة :

– سلمي لي على زوجك مفتش العمل، واذكريني عنده بخير.

أحسسست أن حنجرتي سدت بحجر ثقيل. . .زممت شفتاي، وابتلعت بصعوبة ملح الحسرة، وقد انكسرت بداخلي كل مرايا الأماني والأمنيات.

# المسابقة الكبرى

مضت الأيام تدرج كأنما راكبة على ظهر سلحفاة لاتعبأ بقلبي المسكين، وهو يتململ فوق جمر الانتظار،وتنبعث تأوهاته زفرات حارقة طيلة ثمانية أشهر وأيام، ،وبينما كنت أتلمس طريقا إلى قيلولة يتجمع فيها ماولد الذهن من أفكار بالية وجديدة ،إذا بمذيعة الراديو بصوتها الرخيم تعلن عن أسماء الفائزين في المسابقة الكبرى للشعر والقصة القصيرة. إرتطمت أذني سريعا بموجاته اللاذعة وأنا أدعو الله ألاينقطع تيار الكهرباء كعادته بعد الزوال، أوتتلعثم خطوات أحد النائمين جنبي وتقع بالخطأ على زر الإيقاف، وقد شكل النبض سيمفونية تعبيرية كادت إيقاعاتها السجينة أن تخترق قضبان قفص صدري، وتفر هاربة إلى منبع صوت تلك الحسناء .ويالسعادتي لما تمايل إسمي بين أسماء الشعراء معطرا بمسك الشهرة،ورافعا على سقف حروفه أحلى التباشير. !! . .المرتبة الثالثة . !! .فليكن أيتها الحبيبة . . .فالخير كثير ووزيرة الثقافة راعية المسابقات الأدبية ، لن تبخل على إخوتها الشعراء بما تكتنز خزانة الحكومة من ملايير .وهل بخلت بها ذي قبل على جيراننا من مطربين ومطربات ؟ راقصين وراقصات ؟ وراح يهمس لي خاطري أن شتان مابين مسابقة كبرى تحفل وعودها بالآمال والأمنيات الراقية،و أخرى هزيلة مانلت فيها بعد شهر من الترقب إلا مبلغا يتماشى وحالة المتعوس رغم أني اقتحمت جدار السمو، واستحوذت على الرتبة الثانية في القصة القصيرة ،بينهم أدباء وأديبات الولاية . أما جائزة الجمعية الخيرية ،فمن يأبه بها ؟ أكيد أن طيفها قد

انصهرفي سعير الفرحة ،وأنا أتلذذ بطعم النجاح الحقيقي .وبطبيعة الحال ،نشرتُ الخبر بين الإخوة والأخوات بعدما قذفت به قنبلة صاخبة في وجه سيادة زوجي المحترم،الذي طالما رفع حاجبيه الغليظين ساخرا من شيخ الأمل الذي قاربه الفناء في باحة نفسي.ولولا بضع ثبات كنت ادخرته لأصعب المواقف ،لرددت له الصاع صاعين ولاعبت أنا الأخرى حاجبيَ في حضرته و سحقت الكف بالكف إشارة للغلبة ،و نكاية في توقعاته الجرباء .شددنا الرحال إلى بغيتنا، صوب مركز الثقافة في اليوم المعلوم ،المحدد تاريخه والساعة، بعدما أخذت منه عهدا أن يتنحى جانبا دون اعتراض لماَ أتحدث عن بطولاتي وتضحياتي من أجلها عيون القوافي السوداء ،أمام الصحافة والجمهور العريض، قبيل أو بعد الإحتفال الذي ستقام أعمدته الزمردية على شرف الفائزين.ولقد خضع للأمر الذي أجبرته على الركون بين براثنه متأففا والغيرة تنهش قلبه و تحتسي ما جمع بطينه من دماء .وماهي إلا سويعة هلكت دقائقها تحت عجلة الباص المجنون ،حتى ألفيتني أخيرا في مدينة الجوائز الفاضلة ،ولقد تنسمت عبق الربيع الأخضر ،لما أبصرت عيناي جمعا من البشر قدَام الباب، فهمست لزوجي أن هؤلاء هم رجال الصحافة يترقبون حضوري المباشر بينهم ،فماكانت فراستي لتخونني يوما ،وقبل أن يجادلني كعادته ،وينكس راية اعتقادي، منتصبة القامة مشيت الهوينى وأطياف الشوق تسحبني إليهم وتملأ ثغرات الحياء بشهد الأماني ،بعدما تفقدتُ ملامحي – رموشي وجبهتي المتفصدة عرقا باردا– بمرآة ركنتها سريعا في جوف حقيبتي.ولكن يا ويح قلبي ؟ شيئا فشيئا ،توضح لي أن الذي اعتقدته مكبر صوت لم يكن غير مكنسة جزائرية الصنع كانت تتلهى بها إحدى عاملات النظافة، أوتهدد بها الواقف بجنبها وصاحبه البدين، وسرعان ماانفض اجتماعهم وانتشروا في أرض الله الواسعة ،أحسست بطائر االامتعاض يلملم أوصاله تحت جمجمتي ،لكن واسيت أعصابي بجرعة من حنظل الصبر وأنا أرمق الجدران

بنظرات الباحث عن عين المكان، في ذلك الزخم العمراني الذي بدا الأمر فيه يسري على دروب موحشة،وإذا بفتاة داكنة السمرة تنحشر بينا سائلة :ماخطبكما ؟ فأجبتها بصراحة المشدوه الذي يكاد يغمى عليه من أثر التعجب، مستفسرة عن أخبارهم سادة الحفل والشعراء، وكيف ماظهر على خشبة الواقع منهم كائنا ،ليروي ظمأ الفضول بداخلي أنا الشاعرة الحاصلة على الرتبة الثالثة ولائيا في المسابقة الكبرى للشعر الفصيح؟ فهمت من لغة ملامحها وإشارات الإستنكار التي أومأت بها شفتاها القرمزيتان أنها تجهل تماما مايحدث في ذلك الصرح الثقافي الواسع،وانطلقت أنا وزوجي في رحلة بحث عن الحقيقة المخبأة خلف عنق المجهول، وطفقنا نسأل أي شخص يفاجئنا بطلعته المشرقة دون تمييز في الجنس والشكل أواللون،لكن لا جواب لمن تسأل، إلى أن أمدنا بحبل العون شاب ابن حلال ،كان منهمكا في بعض شأنه ،واتصل بشخصية ذات وزن وسمع ثقيل ،بهاتف محمول اجتثه من جيب قميصه عنوة،وبعد مداولة بينهما وأخذ وعطاء مابين استعطاف من هذا ،وتعنت من ذاك ،فهمت أن سيادة الناقد المحترم قد طاب لبطنه المقام في المقهى المجاور للمركز الثقافي ، واستصعب عليه فراقه ،و بعد ما شاور نفسه أخيرا خرج علينا وبجوزته الغنيمة المنتظرة ليلقيها على طاولة كانت قبالتي ،شهادة تخدير محجبة بظرف أصفر ،على ظهره كتب رقم جائزتي الكبرى ،(مليون ونصف مليون سنتيم !!،)ثم انطلق بسرعة صاروخ ضوئي باعثا خطاه نحو رفقته الطيّبة ،وليته أحسن إلينا ، وهدهد خاطري المفجوع ، ولو ببقعة اهتمام نسأله فيها عن شيئ. . .وهكذا ،فلقد رجعتُ من حيث أتيت أحمل خيبتي على كتفي، وقبل أن تلج قدمي اليسرى في المنزل ،لفظ شيخ الأمل أنفاسه الأخيرة ،فترحمت عليه وعلى الشعر في بلاد المليون ونصف مليون شهيد.

---

# أغرب الأعراس!..

لملمتُ أنفاسي المبعثرة غير آبهة بما سيقرع ناصيتي من ردة فعل إزاء طرقات خفيفة على الباب الحديدي الموصد بإحكام أمامي ،وإذا به يفتح أخيرا، باعثا صوتا يشبه أنين توجع لمريض قارب على النهاية .تنكست راجعة إلى الوراء، لكن عذوبة الصوت الأنثوي الذي ناداني بإسمي ،قد سحق بنبراته الدافئة فئران التوجس وأنبت فيه زهورا من أمان.دققت مجهر نظراتي صوبه، وإذابفتاة جميلة ذات ابتسامة ساحرة تقول لي :تفضلي سيدتي الكريمة "مرحبا بك. . . .العروس بانتظارك.

كافأتها بابتسامة مماثلة، ثم نشرتُ بساط خطواتي على إثرها ،ومعزوفة "بحيرة البجع" تغازلنا إيقاعاتها الرومانسية الهادئة ، أينما ولجت طلعتانا البهيتان. . . هي ببدلتها الكلاسيكية الوردية، وأنا بلباسي التقليدي الذي احتفظتُ به لمثل هذه المناسبات. ومن حين لآخر، تستوقفني بعض الرسومات الزيتية ،المعلقة على الجدران. . . . . منمنمات" لعمر راسم" وأخرى" لنصر الدين ديني" . . . . حتى خربشات" بيكاسو" التشكيلية قد وجدت لها مساحة واسعة هناك !..إلى أن فتح دوننا باب الصالون أين تواجد

حشد كبير من النساء . . ! ! إبتلعت مااستطعت تجميعه من ريق في دلو الخيبة عساني أسقي به حنجرتي التي جفَفتها شمس الدهشة ،وأقوى على تصفيف بعض الحروف لأنثرها أمام العروس الجاثمة بينهن كقاضي قضاة المدينة، ببدلة حمراء فاقع لونها ، بين يديها مجلد ضخم، يحاصرنها بعيون شاخصة وينصتن بإمعان إلى ماتجود به شفتاها الرقيقتان من حكم وأشعار!!...

إقتربتُ منهن شيئًا فشيئًا كرضيع قد تعلم المشي للتو، فهو حريص على ألاَ يقع على الأرض، فيخيب فيه الرجاء . . .حيث لا طبل . . . لا زغاريد . . . . ولارقصات تريح القلوب وتنعش بمتعتها الأرواح ! . . .أينما أرسلت بنظرتي عادت إلى محملة بصورة كتاب ! ! . . . .كتب في كل مكان . . .حتى هدايا العروس كانت عبارة عن موسوعات أدبية ومجلات . ! . . .سلَمت على العروس ثم قدمتُ لها هديتي ،ساعة يد من النوع الرفيع ! . . . لم تعرها أدنى التفاتة ووضعتها جانبا . . ! ! لسوء حظي كنت أجهل نوعية اهتماماتها ، وإلا لوفرت ثمنها للأيام السوداء، وجلبت لها من زاوية البيت رزمة من الكتب، بل محابر أيضا وأقلاما . . .رحبَت بي على كل حال، وسَعت لي مكانا بينهن، وإذا بها تعود إلى ماكانت عليه ذي قبل . . . . ! ! . .شعرتُ بأشباح الملل تتسرب خفية في مغاور كل خلية من جسمي المنهك، والجوع المجنون يغرس أنيابه في باطن معدتي الفارغة، وكدت أن أصرخ في وجهها ، تلك العروس "السيكوباتية"، مع من راقت لهن عيون الشعر السوداء في تلك المناسبة التي ظننتها باهرة سعيدة، بيد أنها أتعس من تعيسة ! ! .وسرعان ماخبت تلك الشعلة المتأججة بين ممرات ضلوعي لماَ هطل النداء الذي انتشر بيننا كرسول

حب، من خارج الصالون، يبشر بوصل الوليمة الحبيبة التي طالما استشطت امتعاضا لكي أحضى بلثم دسومها . . . والغريب في الأمر، أن الأخوات الفاضلات قد انطلقن نحوها كخيول جامحة، وهن اللواتي إدعين اهتمامهن بالعلم والثقافة. . ! ! فارقت موضعي بعدما تركتُ فيه مايشبه الحفرة، وكأن جيوشا من النمل تتعلق بقدمي التي تجمَدت الدماء في أوردتها من أثر الجلوس الطويل ،العريض . . . .تمتمت لخاطري والغبطة تملأ تجاويف صدري : صبرنا كثيرا ولم يبق إلا القليل. . . ! .فالشعر له وقعه في النفس والقلب، وأيضا للكسكس بلحم الضأن وقع لذيذ في المعدة. ! ! .واآآه لوعقبه كأس شاي بالنعناع الأخضرمع حبات" بقلاوة"، محشوة باللوز أوالفول السوداني!!!...

شكلن دائرة هن والعروس حول المائدة المنتظرة، كنت آخر من التحق بالركب اللطيف، بعد خنقة الازدحام . !!إخترت لي مقعدا بينهن، وأنا في شوق لأن أملَي عينيَ الذابلتين بالأطباق الشهية الفاخرة، وقد اعتراني بعض الاطمئنان . . .لكن ماذا جرى يا ترى !!؟ هل الوليمة عبارة عن كتب أيضا ؟؟ ! ! ! تساءلت بمرارة وأنا أمسك برأسي من هول الصدمة ! ! و السيدات المشرفات، يتمايسن بأصناف عديدة من الكتب المتنوعة!!!! إقتربت مني إحداهن بعدما فركت أرنبة أنفها و تفحصتني بنظرات حالمة،:ألا تحبين هذا النوع من الكتب ؟ ربما أنت من هواة القراءات الفلسفية . . ! ؟ سوف أحضرها لك حالا . .جذبتها من ذيل ثوبها بشدة. . ! ثم صرخت بها وألف عفريت يتمايل على صهوة حصان عقلي المشوش، لما انقطعت آخر جديلة للصبر: ألا تبا للكتب الفلسفية. .وتبا لك ، وللحظة شؤم جمعتني بك . ! ولولا أن دوارا ألقى بي في

متاهات متعرجة،لغرستُ أسناني في أنفها الكبير ،أبدا ما كنتُ لأفتكَ عنها إلا إذا حصدتُ لي منه قطعة، لكي تصير عبرة أمام صويحباتها المثقفات. . . ! .و رحتُ أحدَث نفسي بكلمات بدت سنابلها على طرف اللسان باهتة مريضة : أي نوع من الأعراس هذا ياربي؟

- فجأة. . . إقتحمت طبلة أذني قذائف موسيقية صاخبة فانبعثتُ لاشعوريا في عالم الأحياء بعد غفوة خفيفة، وبين أناملي" بطاقة دعوة" لحفل تخرَج من كلية الأدب واللغات بتقدير شبه مقبول !! . .إلتقطتُ الهاتف النقال بسرعة " أوتوماتيكية" كي لا أضطرَ إلى معاودة الإتصال وإذابها العروس ،بشحمها ولحمها تسألني عن حالي وأحوالي!!:،وتعاتبني بقسوة عن غيابي ، بعدما انتهى كلَ شيئ . . .!!و قالت ،كم كان الحفل رائعا ،مُسليا ،وبهيجا . . . !!

# زوجي في المستشفى!!..

كنا على أهبة الولوج في شهر البصل بأيام قلائل، حينما اتصلت بي صديقتي العزيزة خضراء ،وألقت الخبر القنبلة في أذني، مؤكدة لي أنها أبصرت زوجي في المستشفى!.

طارت كل غربان أفكاري على سقف الحيرة ! بادرت لإصطيادها ،وتجميعها من جديد في تعرجات مخيلتي ،عساني أصادف ظل فكرة أستند إليها كعكاز يوصلني إلى بر الأمان، لكن بدون جدوى. ! .وماكان مني إلا أن تلفعت بما صادفني من ملابس أحتجبُ بها في الخارج، وحشرت قدماي في حذاء، ثم انطلقت باكية مولولة وقد غشت الدموع عيناي حتى أنه استصعب علي أن أميز صورة الإنسان من الشجرة! ! وكلما مررت بجماعة ،قرأت في صفحات وجوههم شبه استغراب تتلوه قهقهات من أفواههم الكبيرة. . ! ومع كل ما احتجزته في أغوار الصدر من حنق وغيظ إزاء تصرفاتهم الصبيانية المشينة، واصلت طريقي بحثا عن( طاكسي )ومما زادني دهشة وسرى بي في متاهات لاحدود لها ،هو أنني كلما شاورت لسائق ما راجية أن ينقلني إلى المستشفى ،حدق بي طويلا مبتسما ، أو هازا رأسه ذات

اليمين وذات الشمال، أو متمتما ببضع كلمات غير واضحة الشكل والمعنى!!

ولما فقدت ضوء الأمل في عرصات نفسي ، وانكسفت شمس العزيمة في فلوات نفسي المترهلة ، نثرت بساط خطواتي صوب هدفي المنشود ، وأنا أتمايل من شدة التعب. لكن، وبما أن الحب يفعل المعجزات ،فلقد وجدتني أقف على بوابة المستشفى وكلي لهفة واشتياق لرفيق عمري، وفارسي الذي غنمته في هذه الحياة !سألت عنه الحارس وكل من تعثر بصري به ،لكن استهتارهم وضحكاتهم الساخرة مني بمجرد رؤيتي ،قد حرك فرامل ثورتي فأمسكت بإحدى الممرضات التي سعرت وجهها مبتسمة، وكانت على وشك الإختفاء ،فسألتها وأنا في أقصى درجات التشنج:

مالذي أضحكك مني يا قليلة التربية!؟؟

هل أبدو أمامك دمية قاراقوز أم قردة عوراء ؟!!

وقبل أن أنهي مرافعتي التأديبية كرد اعتبار ،فجأة أشرقت أنوار زوجي المحترم برفقة ثلاثة رجال طوال عراض، سمان ببدلاتهم الجديدة،كأنهم في يوم عيد الفطر المبارك ! وهو يتأبط مايشبه السجل وفي يده محفظة جائعة. . ! وأنا التي ركنت في خاطري أنه مكسر الأضلاع بين الحياة والموت!!.

هرولت إليه باكية، وأنا أحمد الله على سلامته، وإذابه يستغرب وجودي و قد تنكر لي، ونسي أوتناسى، بأنني زوجته وشريكة حياته، وهو يتساءل باستغراب:

من أنت ياهذه ؟!!

-أنا زوجتك أيها الماكر، وجئت لأطمئن عليك حال سماعي بأنك في المستشفى!!

أم أنك فقدت ذاكرتك فجأة . . ؟

-زوجتي . . ! ! ؟ يا ويلي وياسواد ليلي . . ! ! ثم اجتذبني متنحيا عن أصحابه وأردف قائلا:

أهذه هي هيأة زوجة مفتش عمل يا مجرمة ؟!!

مابها هيأتي ؟ ! أجبته ممتعضة ،ثم . . .ثم تعقبت هندامي في مرآة كانت قبالتي،

فصرخت فجأة كأنني قد لمحت شبح المقابر في ليلة ظلماء!!

مايشبه الفوطة على رأسي ،وجسمي النحيل منحشرا في معطف لزوجي، إنكشف باطنه عن ظاهره

وتبعثرت تشكيلة أزراره، وحذاء رجالي ضخم ،فردة بنية والأخرى سوداء !!..

أدركت أنني واقعة في الخطأ من ساسي إلى رأسي، وأن غدا سيشرق عليَ نهارٌ ستوضع فيه صورتي في

أولى صفحات ( جريدة إضحك معنا !!)

ثم سألته وأنا في حالة لا أحسد عليها :ومالعمل الآن !! ؟ ؟

وإذابه يلتقط حذاءه من قدمه ، وقد انبثقت من عينيه أمواجا صاخبة من التذمر!! .

ركضت بسرعة جنونية ،مهددة له أنني سوف أخبر عنه والدتي الحبيبة، إن لمس شعرة من رأسي ،وهو

ورائي كثور متوحش (والذي لا يشتري يتفرج)

وقد اكتسحنا مايشبه معترك تمثيلية فكاهية ،فلا تسمع من حولنا إلا القهقهات !!..

# مشهد وموز !!

تلك هي المرأة الملثمة خاطفة الأطفال، تحفر مشهدها على صخرة الواقع، لتنقشه في ذاكرة اللحظة المشؤومة، التي وجدتني في أسبالها معلقة، عسى أن أوقف الزمن حتى يتسنى لي أن أتصيد رقم السيارة، وأبلغ الشرطة عن ميلاد جريمة تعاركت شخصيات قصتها أمام عيني اللذين سيأكلهما الدود !لكن مالعمل ياترى؟ ! حاولت أن أكتب الرقم على هاتفي النقال ،غير أنني أحسست بارتعاشة تسري بمرفقي، وتشن اضطرابا في صفيحات الدماء المتوهجة، وكل من أبصرني على تلك الحالة المزرية، بالتأكيد قد كتم على صدره دخان الوسوسة، واعتقد أنني مريضة بداء الهزاز،أو قد أصبت فجاة بشيخوخة مبكرة ! إلى أن وصل سيادة زوجي المحترم مبتسما كالمنتصر من معركة ، وفي يده يحمل كُيسا بلاستيكيا شفافا إشرأبت منه أعناق ثلاث موزات طازجات ! ! لكن من يأبه لهذا أوذاك ؟ !ولمَا لم ير منى اهتماما بغنيمته المغرية التي كنت أشتهيها في حضرة دقائق فانية ،زم شفتيه وشطب مقهى البسمات عنده، و انتابته حيرة عبثت ريشتها في ملامح وجهه الأسمر ،فبدا متعجبا وسألني قائلا :مالذي حدث لك يامرأة ؟أوما توسلت لي أن أشتري لك موزا لأنك تتوحمين ! ! ؟أجبته وأنا في حالة ذعر، و لساني عاجز أن يحفن من رمل الكلام وزنا

مرضيا من الكلمات ! بيد أنه فهم من ضئيل ما بعثت به حنجرتي الشحيحة،

أن يتصل بالشرطة ويبلغهم عن حالة خطف طفلة صغيرة!

إنتابه بعض الإرتباك والقلق، وسعى لأن يستفسرأكثر، فأقسمت له أنني رأيت المرأة الخاطفة، وقد استدرجت ضحيتها إلى سيارة سوداء كسواد حاجبيه المقوسين، وللأسف لم أستطع تقييد إلا شتات أرقام غير كاملة ! . ربّت على كتفي بحنان لم أعهده منه منذ كنا عروسين، ثم رضخ لطلبي متأففا، واتجهنا لقسم الشرطة على التو! فدموعي الجارية كسيل، وحالتي المزرية، أثرت سريعا في إيقاعات نبضات قلبه الحساس، وخاصة عندما ذكّرته بأنه سيصبح أبا، وماذا لوكانت تلك المخطوفة إبنتنا الحبيبة!

جلسنا ننتظر دورنا لاقتحام ساحة سيادة مفتش الشرطة ،وكانت أنظار من وقعت عليهم أعيننا الأربع مثبتة علينا، وكلها تعجَب يلوح منه ساعد الفضول .تمطى سنم قلبي مايشبه الصخرة وأذاب دسمه في الأوردة، فأصابني دوار، وكدت ان أسترجع ما ازدردته من زيتون مالح وسردين، من جراء روائح منبعثة من زوج حذاء مترهل ،حشرت فيه قسرا قدما أحد المنتظرين، والذي كان يلقي بجثته المنهكة قبالتي، وبين الفينة والأخرى، يكشف الستارمتثائبا عن بقايا أسنان إستوطنتها قبائل من السوسة، ! وإذا بزوجي يكاد أن يقتلع ذراعي، آمرا لي ودون تفلسف تغيير المكان، و الجلوس بجنبه الأيمن بدل اليسار . ! فهمت بأن نيران الغيرة هي ما ألهب خاطره ،ودفع بالعفاريت الحمراء بالتقافز على بلاط غرفة عقله كمجنون ،لكنني لم

أصمت أنا صاحبة اللسان الطويل، والحجة البالغة، فعاتبته قائلة :

– هل تعتقد أنني ملك يمينك، حتى تجذبني بهذه الطريقة اللامنطقية ، التي تدل على تخلفك وانصياعك لمغنطيس الطبع العروبي المتحجر. . .يا مفتش !! ؟ فرد علي موشوشا كأنما يخشى تنصت القاعدين لتفاصيل حكيه المثير، وحنظل التذمر يتقاطر من بين شفتيه الغليظتين

: أصمتي يا بليدة! وهل تعتقدين أنك في مطبخ والدتك !؟؟

فأجبته وضفتا أسناني ملتصقة ببعضها، وقد توهجت النيران في قبو جمجمتي :

– ماذا فعلت لك والدتي لتدون سيرتها في مكان كهذا، ياناكر الجميل ؟ألأنها زوّجتك بابنتها الغالية ،المثقفة برخص المهور . . ؟

فرد قائلا وما تجلّى على صفحة وجهه المتلون بالرماد، إلا عينين ملتهبتين : ليتني عملت بنصيحة أمي، وتزوجت من ابنة خالتي البدوية، التي قطّعت خصلات شعرها الحريري، وباعتها في سوق المهانة ، فقط من أجل أن تحظى بي كزوج ،على الأقل كانت ستحترمني وتشحن معدتي بالكسكس اللذيذ، وتسعى جاهدة لخدمتي وإرضائي. . .يا مثقفة!!

واحتدم الصراع بيننا إلى القمة لذكره ابنة خالته ،فذكرت له مفتخرة إبن عمي الأشقر، الذي تورمت قدماه، وجفّ حلقه وهو يلاحقني من مكان إلى آخر، حبا وشغفا بالزواج بي !، وكدنا أن نشعلها حرب كلام

عالمية ، لولا نداءا سابجا كدلو ماء بارد، إندلق على جمرمهجتينا حائلا دون ذلك . فهمنا أن سيادة مفتش الشرطة يستدعينا –أخيرا وليس آخرا– ،فانطلقنا مندفعين إليه ملبين النداء !ودون تلكك أو جدال ،هدمنا عليه سقف خلوته وقصّ عليه زوجي الحكاية (من طقطق إلى السلام عليكم)بعدما صافحه بحرارة لأن صدفة ما، جمعت بينهما ذات لقاء، و تبادلا التحيات والبسمات وماشابه من إيتيكيت مقرفة ! !،كل ذلك حدث، وعجلة الزمن تدور،ساحقة تحت وطأتها عناقيد اللحظات الثمينة ، وأنا أفكر في مصير تلك الطفلة البريئة، التي سيرحّلون أعضاءها اللطيفة دون تأشيرة أوجواز سفر، مقابل كمشة دولارات فوقها بصقة نتنة ! ! . بعد كم هائل من السينات والجينات – وبهدلة مالها أول من آخر– إعتبروني شاهدا عيانا ،وراحوا يتقصون عن أثر الحقيقة المخبأة تحت رداء الغموض .مضت الساعات مترعة بألم الإنتظار البغيض، وفجأة إرتجّ هاتف سيادة مفتش الشرطة، يبشّره أتباعه ،والساهرون على خدمة القانون ، أنهم قد عثرو على السيارة السوداء بمن فيها، و تأكدوا أن حياة الطفلة لايكتنفها خطر ! ! .سعدنا نحن الثلاثة وابتسمنا ملء أفواهنا ، ونسيت وزوجي ماكنا عليه من خلاف وخصام ، حتى أنه احتضنني مهنئا، و قد لمعت بين أسنانه ضرس العقل ،لسلامة الطفلة، وكذلك لشعوره بإنجازه العظيم ! وكادت أجسامنا أن تنزلق من قبضتنا، وتورطنا في معمعة الرقص الفلكلوري،الحيدوسي، الجميل فرحا، لولا زمام التعقل لجم تصرفاتنا، ورجع بنا إلى مقاعد السكينة جاثمين ! ! . وبعد طرقات خفيفة تشي بمدى تأدب صاحبها ،أوخوفه من العواقب،فتح باب الغرفة فجأة ، كفم ضبع مريض ،لافظ من بين أحشائه هيكلا

عظميا لامرأة بائسة، مغلفا بجلد هش طاعن في السمرة، وهي تحتضن بين فروع يديها الشائكة، طفلة متألمة غير راضية بوضع قد تحتم عليها، وأجبرها على الرضوخ دامعة، في حضرة ذلك الصدر النحيف الذي سعت جاهدة صاحبته لأن تزينه بحبات خرز ملونة، لكن تقزمت مساعيها ورجمت من خمائل الجمال !..اقتربت تكبو بخطى مبعثرة من سيادة مفتش الشرطة، وكادت أن تسقط مغشيا عليها من أثر الخوف ! بدا ذلك بارزا من خلال اصطكاك أسنانها، وتعرق جبينها الواسع، ثم ألقت بما يشغل بالها من أفكار متضاربة وهي تسأل حائرة : لماذا أحضرتموني إلى هنا ؟ أنا لم أفعل شيئا ؟ لكن سيادته لم يحرك ساكنا أو يكسر مرفوعا ،سوى إشارته إليها بالجلوس، وفقا لمادة قانونية لزجة تقول (المتهم بريئ مالم تثبت إدانته) ونظرا لفظاعة الموقف قبالتها ،وقعت صورتي بعينها على النقطة العمياء، فجلست بجحري معتقدة أنني كرسي وثير، وسرعان ماصرخت' في ظهرها ! ولحسن حظها أن الخطأ لم يحدث مع زوجي المحترم، وإلا لكنت مزقت أذنيها بأظافري . . ! أحضروا لها مقعدا خشبيا، ودخلوا معها في معترك سؤال وجواب إلى آذان الظهر ! لكنهم لم يخرجوا معها بفائدة ترجى، سوى إنكار يعقبه بكاء ونحيب، ثم جرجروا زوجها ،حارس مدرسة إبتدائية الذي أقبل هو الآخر علينا ناقما ،يحدث نفسه وقد اتكأعلى عصا خيزران ظانا أن الحكومة ستخاف منه لهيأته البطولية ،وشاربه الطويل ! لكنهم أجبروه كديك الأرياف على الإنتظار تحت رحى السمع و الطاعة، وألاّيهمس بكلمة، حتى يؤذن له. وفي الختام ،إتضح أن الطفلة الضحية، ماهي إلا ابنته المدللة ،ووالدتها المهندسة وفاء ،كانت تسعى لأخذها إلى عيادة طبية في سيارتها الخاصة،لأنها

أصيبت فجأة بصداع وارتفعت حرارة جسمها . . . ! ! لحظتها لم أدر بأي سهم من جعبة المصائب قد أصبت ! ! نظرت يمينا وشمالا، فلم يلحظني أحد، نظرا لإنشغالهم بغلق المحضر، والبلاغ الكاذب ،فأعطيت الأوامر لقدمي والساق، لينفذا خطة هروب، بعيدا عن الجميع ! وإذا بي أصادف سيادة المحترم زوجي واقفا عند المدخل ينتظر طلعتي البهية بشغف ! ! أما وإنه شاهدني ،فقد تعذر علي اختراع وسيلة للتخفي ،فاتجهت نحوه مستسلمة لا ألوي على شيئ ولساني يلهج بالدعاء اللهم إني لا أسألك رد القضاء ولكني أسألك اللطف فيه ! ! . نظر إليَ بعمق وغشاني بنظرة ثاقبة من رأسي إلى بلاط الحكومة الذي تصلبت' عليه، ثم قال لي بصوت ساخط كزوبعة ربيعية : هل سنبيت الليلة في قسم الشرطة أم ماذا ؟ هيا أسرعي يا أم المشاكل ! ! واكتفى بهذه الكلمات معاتبا ، وطرد تنهيدة طويلة كانت تكتم على أضلاعه، ثم سكت متأففا !!وهنا فقط، تذكرت كيس الموز الذي ضاع من بين يدي في رمشة عين، فرجوته على استحياء أن نشحذ الهمة إلى نقطة انطلاقنا عله وعسى نحظى بحبات الموز الطازجة.رضخ لطلبي بطبيعة الحال، ليس لسواد رموشي، لكن إرضاءا لطلبات إبنه العزيز، الذي يتربع على عرش الرحم ! واتجهنا إلى مبتغانا مسرعين .لكننا لم نظفربغير القشور معفرة بالتراب ! ! أصبت بخيبة أمل لحظتها، وحاولت وضع نقاط الفهم على حروف الحقيقة، لكن لاحياة لمن تنادي ! إلى أن تعطف علينا طفل من أقصى الشارع ، والغصة تنهب قلبه، فأخبرنا بأن صاحبه الأقرع، هو من التهم الموزات الثلاثة، ولم يمنحه ، ولاحتى عضة واحدة !!إعتلتني غمامة من الحنق لدرجة البكاء، لولا زوجي خفف علي ثقلها، وهو يصب

جام غضبه،ويدعو على الفتى الأقرع ، ثم فتش في جيبه، فمامن حل أمامه سوى شراء البديل .إتجه إلى بائع الموز مسرعا ،وسرعان ماالتفت إلي قائلا :رجلك أمام رجلي يا أم المشاكل! حاولت الدفاع عن نفسي لكن موجات من الضحك اكتسحت جدار الغضب ،فغرقنا في بحرها غائصين ! وعادت طيور الفرح إلى أوكارها ثانية، ولله الحمد ! ولم أنسى أن أسأله ،ونحن في طريقنا إلى البيت، عن ابنة خالته البدوية ، هل حقا ندم لعدم زواجه منها ! ! ؟

# الصرصار وصاحبة القرار

بعد يوم كامل من التحويم بين جدران البيت بفائدة أو بغير فائدة ، وفي ليلة صيفية هرب زئبق مقياسها إلى أعلى درجاته ، رميت بجثتي المتماوجة على الأرض الواسعة ورضخت لسلطان النوم . وماهي إلا لحظات ، حتى أحسست بخربشات في أصابع قدمي ، خلته عقربا يتفحص الأرضية التي سيفرغ فيها مايجيش في أعماق سنارته الذهبية من سموم . . ! ! قفزت مذعورة ، أتخبط في ظلام دامس صوب الحائط الذي كاد اصطدامي به يخلفُ لي عاهة مستديمة بالرأس لولا أن الله ستر ..!! .إتجهت إلى المكان المقصود وفرائسي ترتعش من الخوف ولو أنها تلك الرعشات زوجت بضربات دف من جلد الضأن المتين ،لتحولت إلى رقصات تشكيلية ذات خبايا فنية، عصرية لا يفهمها إلا ذوو الإحساس الراقي من متذوقي الفن الحديث .!!..رفعت الغطاء بسرعة خاطفة وإذا عيناي تصدمان بصرصار ضخم لم يسبق لي أن تشرفت بمعرفته ذي قبل. . .تسمرت في مكاني مشدوهة . . .بدأ ينظر إلي بعينيه السوداوين ولصغرهما ، لم أفهم معنى لتلك النظرات . . .هل كانت إعجابا كوني أرتدي خمارا أسودا وثوبا بنيا يشبه لون جلده ، فاعتقد الواهم أنني صرصارة عملاقة ، أم أنها نظرات امتعاض !! ؟ هو أيضا قد طفح كيله وانغرست في أعماقه ، سهام

الفضول الحشري لما تأكد أنني إنسانة لاتدخر لأمثاله من الصراصير إلا الحقد والكراهية. وأظنه بدأ يسأل نفسه ماسيكون مصيره بعد كل هذا الوقوف الامتناهي. . . ! ؟ .أما أنا فقد كنت في الحقيقة ، أبحث عن شتات أنفاسي لأجمعه في صرخة واحدة إذ ماخطر له خاطر أن يجهز علي بسيقانه المتفرعة ، لكن اضطرابي سرعان مااقتحم أسوار التلاشي إلى أن تحول إلى إعجاب بالنفس ، وأنا أراه يسحب الريح خلف رجليه وينطلق كالصاروخ نحو الباب طالبا زوارق النجاة. . . .يالسعادتي . . .الصرصار الجبان برهن أنه خائف مني . . ! ! ! . .إحساس رائع دغدغ مشاعري ، فانفلتت من أسارير وجهي العابس إبتسامة عريضة . !...تذبذبه في الجري أثبت أنه غريب الديار، لايند إلى صراصير الحي بصلة ، ولسوء حظه أنني لست من ذوات الوزن الثقيل ،فتعهدته باللحاق دون مداولة ،إلى أن وقع بصره الحاذق على مكان ظن هو بتفكيره المحدود أنه آمن . تركته وحاله إلى إشعار آخر، ثم اتجهت صوب المرآة التي كانت تتهمني دوما بأنني ضعيفة وفاشلة في إتخاذ القرارات ، لكي أوقع على صقالة وجهها اللامع انتصارا، وأشرب على مرئى ومسمع منها ، عصير الأفراح في الليلي الملاح . وبينما أنا غارقة في تلك النشوة الطاووسية الرقراقة ، إذا بصدى خطوات ثقيلة يقترب مني شيئا فشيئا ، . . . .ويا لهول مارتطمت به ناصيتي . . .سيادة زوجي المحترم ، يجذب الصرصار المسكين من أحد قرنيه الذابلين جثة هامدة تلعب بها ذرات الهواء . . . ! !

فزعت لذاك المنظر التراجيدي المؤثر!!..

.....

، أصاب عيني حول وانحنت كتفاي وبقيت منتصبة في مكاني كتمثال لامرأة ذات احتياجات عامة وخاصة، ولم يتسن لعقلي الناقص رجوعا إلى عالم الحركات الفسيح، إلا بمعية كلمات ارتدادية كانت قد تسربت من أغوار حنجرته المبحوحة، وهو يتمتم متبرما : أمن أجل هذا حرمتنا من النوم وأثرتها حربا عالمية في البيت ؟ ! ! ما أضعفكن أيتها النساء . . . ! ! .ثم ألقى به خارجا دونما تفكير في العواقب ، وعاد ليكمل ماتبقى من دائرة نومته الملوكية وهو مرتد ثوب العزة والتفاخر ، الذي بدا وكأنه قاسما مشتركا بيننا في تلك الليلة السوداء . جن جنوني بطبيعة الحال واكتنفت قلبي الموجوع غصة خانقة..... !!...

، لكن بيني وبينكم أعزائي القراء ، وأقولها بصراحة : إثر ذلك الموقف العنفواني الرهيب ، لم تراودني أفكار شيطانية ولا ملائكية ، ولم تكتسح تركيبة هيكلي العظمي أي ردة فعل ، سوى أنني قصدت مربطي ، خائرة القوى ، منحنية الرأس بعدما أصلحت باستثقال ماكنت أفسدته من أشياء نتيجة الكر والفر . . . . والقرار الحاسم الذي عزمت عليه وشحذت له كل ماأمتلك من طاقات ، أنا صاحبة القرار ، هو ألا ألوي عنقي تجاه المرآة التي تخيلت لها وجها شامتا يلاعب حاجبيه الغليظين ويتتبع خطواتي المحبطة برشاش لسانه المتفرع الطويل ، وأنا أتمنى من أعماق قلبي أن يكون الفقيد مقطوعا من شجرة ، حيث لاخال، ولاابن عم يسأل عنه ويتحرى عن أسباب رحيله المفاجئ ، وإلا وقعت الكارثة وأصبحت قدمي العزيزة مطلوبة للثأر الصرصاري مدى الحياة!!..

# المجنونة !!

وبعد محاولات كلها يأس تربعت على أتربة الخيبة والانكسار ،أخيرا تم لهؤلاء العمالقة الثلاثة مبتغاهم في تكفيني بمئزرأبيض ذي كمين طويلين، قد ضبطت أزراره بواجهة الظهر، ورموني في السيارة المجهز باطنها خصيصا لالتهامي .سألتهم وديدان الفضول تنهش خاطري :لوجه الله أجيبوني . . .إلى أين تأخذونني ؟أنا لست مجنونة. . . . .لكن أحدا منهم لم ينبس ببنت شفة. . . . لكأني بهم تماثيل نقشت من صخر أصم ،اندثرت أفواهها وآذانها ونسفت عراض خطوطها تحت أ قدام الزمن . .....فازداد غليان المراجل بدمائي وطفقت أصرخ بأعلى صوت، غير آبهة لما سيقع بعد ذلك من نتائج . عندما فشلت قواي وتيقنت ألا عناقيد حلوة ستقطف من جدوى كروم ذابلة ،إستندت إلى أحد المقاعد في انتظار ما ستصدمني به اللحظات القادمة من مفاجآت .لكن هواجس توالت على مخيلتي كإناث الشياطين من كل حدب وصوب، وبألوان شتى أثارت براكين دماغي الرمادية ،فراحت تسحق سنابل الحقائق لتصيرها عجينة من الشكوك، قد غلقت بلزوجتها كل منفذ لأوردة الصواب !!

أكيد . . .سيادة المحترم زوجي هو من له مصلحة في ارتكاني مقيدة بلا حراك في عالم تغمره الظلمة في مستشفى المجانين ، بعيدا عن العقلاء . . .وإلا فكيف سيتم له الزواج بثانية وثالثة ؟ ؟أو ربما تلك الجارة

طويلة الأنف واللسان ،هي الشبح الذي يتخفى وراء كل مصائبي. . . . أنا أعرف أنها تكن لي بين ضلوعها القناطير المقنطرة من الأحقاد لأنني زوجة "مفتش"، أما هي فلا زالت . . . .انقطع حبل الأفكار فجأة كتيار كهربائي في ليلة عاصفة ،فوجدتني أساق مجبرة إلى بوابة كتب أعلاها "مستشفى المجانين "" .

تسمرت في مكاني أسائل نفسي فلا يرد علي إلا الخواء :هل أنا في حلم أم في علم . . . ؟. وماهي إلا دقائق معدودات، تساقطت كوريقات خريف يابسة على رصيف مهجور، حتى ألفيتني وجها لوجه وفي اتجاه غير معكوس أمام امرأة سمينة، لفت بمئزر أبيض غير مقلوب.كأنما هي طائر النكد بعينه ،لها شعر منكوش،ووجه غارق في متاهات السُمرة،والعبوس، تدسُ عينيها الجاحظتين خلف نظارات طبيَة كبيرة.بادرتني بتحية باردة، وأنا في حالة لاتسرعدوا أوصديقا، فأجبتها والشرار يتطاير من عيني، وقد جهزت مدفع لساني كي أحسن الإصابات :

– احتفظي بسلامك في جيبك أيتها السيدة الفاضلة . . . .وقولي لي :لماذا أنا هنا !!؟

أنت هنا . . . . .لأنك مجنونة. . . !!.( وبكل هدوء وبرودة أعصاب)

ولكن كيف !!؟؟. . . . .كيف ذلك. . . . !! ؟؟

أو لم تقولي علنا وأمام الجميع ،إن لوحات الفنان" أبوخلَيطة" التجريدية،

عبارة عن خربشات قلم ،وألوان مبعثرة ، ليس إلا؟؟

قالت ذلك بصوت يشبه فرقة البارود في لحظات غفلة ،ثم أعطتني ظهرها ،وانهمكت تُدبَرُ أمرا ،وقد حرصت على ألاَ تنفذ سهام نظراتي إلى يديها الغليظتين وماتحمل بينهما من ألغاز. . . !!

لحظتها فقط تذكرت مقولة جدي الشهيرة "إذا أردت ألا تتهم بالجنون، ففكر كما يفكرون.....

وأيقنت عندها أن أوان الهرب قد فات، ولا حيلة باستطاعتي التقاطها من غرفة العقل المخلوع، الذي أصابه زلزال الدهشة، فبعثر كل جدران ثباته وأسس التفكير بداخله. .فالباب موصد وسيادة الممرضة قد أمرت عصابتها بأن يجروني إلى غرفة، اكتنفها صراخ وعويل، ورائحة الكحول ، وخلت أن مصيري سيؤول إلى ما آل إليه وضع أولئك المساكين الصارخين لامحالة !! .سح من عيني دمع غزير ،وتوسلت إليهم مرارا وتكرارا أن دعوني وشأني، لكن لاحياة لمن تنادي. . !! . .فلقد تم تجهيز الحقنة ،الصاروخ ، وماتبقى إلا التنفيذ !! انعقد لساني وأنا أحاول الاستغاثة، فأحسست وكأن صخرة تكتم على مخارج أنفاسي . .وشلّت قدماي. . . . وصاحبة الحقنة تتقدم مني الخطوة تلو الأخرى، وأنا أحدق إليها محاولة التنقل من مكاني فلا أستطيع ...وفجأة انبعث من بين أنقاض الصمت الأسود صوت هادئ.انتشلني فجأة مما أنا فيه:

- أمي . . .أمي استيقظي....

آآآه. . . . . .ياالله !!أي كابوس هذا !! ؟ سألت نفسي، وأنا أجفف جبيني المتقصد عرقا،وأحملق في

الغرفة يمينا وشمالا ،وقد انغمستُ في قيعان ذاكرتي المضطربة ،أفتش عن مخرج في دنيا الواقع ،ثم وجهت نظرة حانية صوبه ،إبني عثمان ، الفارس الذي انقشعت أنواره من بين الغمام،يحمل بين أنامله الصغيرة ورقة رسم ، فسألته،– ماذا تريد ياحبيبي؟

– انظري يا أمي. . . . أليس هذا رسما جميلا؟

ولكي لا أكسر خاطره المرهف ،ألقيتُ على الورقة نظرة ،تلتها نظرات ،وإذا بها ! خطوط مبعثرة ودوائر مضغوطة ،ووابل من الألوان غير المتناسقة !!

أصابتني نوبة من الفزع رهيبة ، وأنا أحملق في تلك الخربشات، بين أنامله الصغيرة ،فتذكرت العمالقة الثلاثة و. . . .الممرضة الغاضبة و. . . .الحقنة. . . . . .فقفزتُ من موضعي كأني لدغتُ من حية رقطاء ،وقد شحنتُ كل خلية من عضلات جسمي المنهك، ببنزين التذمر،فأصررتُ على ملاحقته ورجمه بشتى أنواع "الشباشب"و الأحذية ، ولساني يلهج ويتماوج على إيقاع أنفاس متقطعة:

متى كانت الخربشات. . . . . رسما . . . . . يابن المجنونة. !!؟؟

متى كانت الخربشات. . . . فنا . . . . . يابن المجنونة !!؟

لكن الصغير أحس بمتعة جراء المطاردة العنفوانية البائسة ،فراح يجري هو الآخر ويردد:

هاي. . . . . .أمي مجنونة. . . . . .هاي أمي مجنونة !!